

عمر اسرير

# الطريق إلى أرض العشاق

٠٠٤٨ ٠ ٥٠٧٠١١ | †٤٤٠٠٠٠

قصة  
قصيرة

البرقعة  
البرقعة



الطريقه إلى أرض العشاق



اسم الكتاب: الطريق إلى أرض العشاق

اسم الكاتب: عمر اسيرير

نوع العمل: قصة قصيرة

الرقم الدولي EBIN: 16-1-313-240421

الناشر: دار بسمة للنشر الإلكتروني

الطبعة الأولى: 2024م / 1445هـ



## دار بسمة للنشر الإلكتروني

00212771814934

دار بسمة للنشر الإلكتروني (المغرب)

Darbassma1@gmail.com

المملكة المغربية

كل الحقوق  
محفوظة

دار بسمة للنشر الإلكتروني تُقدم جميع خدمات النشر، ولا تتحمل أي مسؤولية تجاه المحتوى، إذ إن الكاتب وحده هو المسؤول عن نتاج فكره.. كما لا يجوز بأي صورة نشر أو إعادة طبع أي جزء من هذا الكتاب أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي نحو كان، أو بأي طريقة سواء كانت إلكترونية أو بالتصوير أو خلاف ذلك، إلا بموافقة خطية من الناشر أو المؤلف. ©

# الطريق إلى أرض العشاق

قصة قصيرة

عمر أسير





## الإهداء

إلى أرض العشاق، حيث يتفتح الحب وتتراقص القلوب، وتنمو  
براعم الغرام، وتزدهر زهور العاطفة.

إلى الشموع الساطعة في ظلمة الحياة، الذين ينيرون درب  
الأمل، ويمنحون الدفء للآخرين.



## تقديم

قصة الطريق إلى أرض العشاق، رحلة ممتعة بين ثنايا الجمال المكنون في تقاليدنا العريقة، على ضفاف جبال الأطلس، استمتعت فيها بحكي مثير ممتزج بمجاز وتصوير بليغين وأوصاف غزيرة دقيقة تحف عتبات ومسارات هذه الرحلة التي قام بها كاتبها الأستاذ عمر اسرير.

هي رحلة قصصية سردية تستكشف المبهر في تقاليدنا الأصيلة لتصوره لنا في حلته الأصلية الطبيعية في قالب قصصي يزخر بأصالة الإبداع وجمال انتقاء الألفاظ المناسبة والمبدعة.

سافرت مع كاتبنا خلال هذه الرحلة فجبت الجبال معه  
ومخرت عباب المراسيم وتذوقت الأطعمة التقليدية باشتهاء  
اللفظ وكيف تم نسجه ببراعة تامة.

يدعونا كاتبنا عمر اسرير من خلال هذه القصة إلى  
استشفاف الغابر الراقي في تقاليدنا وعاداتنا. ومع ضآلة  
البحث واندثاره في هذا المجال نتيجة سلبات العولة وغزو  
الرقميات أبي كاتبنا إلا إحياء هذا الموروث وبوثقته على مزمار  
الشغف والإبداع.

إنه الجنوب الشرقي، الأمازيغي بطلته البهية، المتنوع في  
لباسه وتضاريسه وموسيقاه، الغني بالمراسيم والفنون المبهجة،  
الندي بابتسامه وكرم أهله الطيبين. من هذه الربوع التصويرية  
انطلق كاتبنا في رحلته بين الراشيدية ومكناس عبر إملشيل،  
أموكر، أيت حديدو ليبلغ أرض "إسلي" و"تسليت"، ويطلعنا  
على قصة من ألف ليلة وليلة بصبغة مغربية خالصة.

لم يكتف الكاتب بتناول المعنى واللفظ الشفهي التاريخي  
للقصة ودلالاتهما اللغوية أو السردية التاريخية فقط، بل  
زخرفها بواقع المكان وعلاقته بالوجود الفعلي لعناصر القصة



والتموقع العجيب لبنيتها وفق ذلك، مما يدل على شغف قديم  
وميزة إبداعية فريدة لديه، ألا وهي البحث والتوثيق وفق قالب  
إبداعي محض يروق المتلقي. وهي خاصية فريدة قلما تجدها في  
مبدع.

الكاتب: "عمر لوريكي"



أقبل الخريف وحرارة الهواجر قد خفت، وجمرة الصيف  
قد خبت، ورياح الخريف قد هفت وجاشت، تسوق أوراق  
أشجار قد جفت واحمرت، من مطلع الفلق إلى مجمع الغسق،  
شهر شتنبر، التاسع في التقويم الشمسي، حيث يتساوى طول  
الليل مع النهار، وتتلاشى الرطوبة على سواحل البحار، وتبدأ  
الأجسام في الاصفرار.

من ربوع الأرض المتزامية الأطراف يشع البشر بتقاليد  
احتفالية متألثة، إذ يرفعون رايات الاستقلال ابتهاجًا بحريتهم،  
ويرقصون في أعياد العلم، ويعانقون السلام بقلوبهم.

وهناك، حيث القلوب تتوق للانصهار في حب عميق،  
تزين الخطب وتوجه الدعوات للعاشقين معلنة بدء موسم  
الوصال في احتفالات زفاف تعم بالبهجة والسرور.

تعالت أصوات المنادين، معلنة عن قدوم أوان زرع  
الأمّل، حيث تتفجر الحياة في أراضهم، ليباشروا بغرس بذور  
الغد، آملين أن تسقيها سماء كريمة بغيثها الندي.

وبينما يذرف السحاب دموع الفرح على الأرض، تتفتح الورود، تزهو على غفوة الشرفات، وفي فسحات الحدائق، وحتى الأزهار البرية تشرب من قطرات النقاء، مضيئة دروب الحياة المتشابكة بإشراقها البديعة.

منتصف ليلة الجمعة الأخيرة من شهر سبتمبر "أيلول" ألفين واثنين وعشرين (2022)، أجدني بين ثنايا جبال الأطلس المتوسط الشاهقة، الواقعة تقريبًا بين مدينتي "الراشيدية" و"مكناس"، وكأنني في عالم مواز يحمل في طياته أسرارًا عميقة.

في تلك اللحظة، كنت أقف على مقربة من جبل "العياشي"، هذا العملاق الرائع الذي ينبعث منه جمال الطبيعة، ويكسوه البياض كزينة عروس في زفافها المجيد، والذي يفصل بين سلسلة الأطلس والصحراء، يلقبه البعض بـ "وحش الجبال"، وهو لقب يعكس قوته وشموخه، من قمة هذا الجبل، يمكن رؤية مناظر طبيعية خلابة وخاطفة للأنفاس، وتحديدًا مدينة "ميدلت" المشهورة بثرواتها الثمينة كـ "فانا دينت"، والتي يقام بها الموسم السنوي لثمار "التفاح".

كان صديقي "عبد الودود" إلى جانبي في هذه التجربة الساحرة، حيث وقفنا معاً على قمة هضبة "لالة ميمونة" في هذه المدينة الساحرة الملقبة بـ "باريس الصغيرة"، نستمتع بمشاهدة جمال المدينة من هذا الارتفاع، وتبادل أحاديث ممتعة حول جمال الحياة في هذا المكان الخلاب.

في أثناء تصفحي لإحدى صفحات مواقع التواصل الاجتماعي، لفت انتباهي خبر عن موسم جديد سيقام في منطقة إملشيل، فور إخباري صديقي عبد الودود عن هذا الحدث، قررنا زيارته معاً، اتفقنا أن نساfer يوم السبت لنقضي بعض الوقت في ضواحي إملشيل، المكان الذي يقع بين أحضان جبال الأطلس الشرقية على ارتفاع 2300 متر عن سطح البحر، هنا تكمن روعة المنطقة المشهورة بموسم الخطبة. إنها أرض مباركة للعاشقين، ومكان يحكي أسطورة العشق الأبدية بين "إسلي" و"تسليت".

يطلق على هذا المكان لدى أهالي درعة تافيلالت لقب "أكدود ألمغني"، تيمناً بالولي الصالح: "سيدي أحمد ألمغني" دفين قصر "آيت عمر"، وقد كان "أحمد ألمغني" أحد رموز

التصوف وعلماً من أعلام "اتحادية آيت حديدو" الأمازيغية، وعاش حياة العزوية، وأصبح رمزاً روحياً بين القبائل الأمازيغية حسبما تروي الروايات الشفهية، في هذا المكان تحيا طقوس الأعراس الجماعية المعروفة بـ "تيمغريو"، والتي ترمز إلى العادات والتقاليد القديمة لقبيلة "آت حديدو" بقرية "آيت عمر"، التابعة لجماعة "بوزمو"، دائرة "إملشيل".

بدأت رحلتنا في ساعات الصباح الأولى من قلب مدينة "التفاح" في ميدلت، كأول شعاع من الشمس يتسلل بين الغيوم المتناثرة، انطلقنا بثقة نحو مدينة الريش، كما يفتح الطيران أجنحته للتخليق في أجواء الحرية.

ومن هناك، غصت أقدامنا في أرض قرية "أموكر" الجميلة، كالألوان الزاهية التي تزين لوحة فنية رائعة، ومن ثم إلى قرية "أتربات" الجميلة، وتوجهنا بعدها إلى القرية الصغيرة التي تتميز بساحتها الواسعة، كالمحيط الذي يستقبل السفن الشراعية بذراعيه المفتوحتين.

كانت الرحلة رحلة استكشاف الجمال الطبيعي الساحر لتلك المنطقة، وفرصة للتعرف على عادات وتقاليد قبائل "آيت حديدو" ومشاركتهم في مهرجان الخطبة الذي كنا نسمع عنه منذ صغرنا، ولم نكن قد زرناه يوماً قبل ذلك اليوم.

استغرقت الرحلة زهاء ست ساعات، بسبب وعورة الطريق المتعرج والخطر بين تلك الجبال العالية، كانت الطريق

ضيقة لدرجة أنها لا تكفي لمرور سيارة واحدة فقط، وكانت بها العديد من الحفر والتشوهات، كانت المنعرجات الملتوية تندر بالخطر، وخصوصًا بين منطقتي "أموكر" و "أتربات"، حيث تتعرض لظروف مناخية قاسية، تتلاقى الأمطار مع الأرض وتجعلها تنهار، فتصبح غير مرحب بها لمرور الدواب والمركبات.

لم نمر من هذا الطريق من قبل، فأجبرتنا الظروف الصعبة على أن نكون حذرين للغاية، ونقلل من سرعتنا، لقد وجدنا أنفسنا مضطرين إلى الوقوف على حافة الطريق باستمرار عند قدوم سيارة من الجهة المقابلة؛ حتى لا نتعرض لتصادم قاتل.

لم يكن بالطريق تشوير طرقي من لوحات إرشادية وعلامات أرضية توجهنا في الاتجاه الصحيح، وتسهل علينا السير، وتجعله أكثر سلامة، مما جعلنا نتوقف أحيانًا لنسأل بعض المارة أو الواقفين على الطريق كي لا نضل. ومع ذلك، كانت رغبتنا في حضور مراسم الزفاف الجماعي أهم بكثير من التحديات التي واجهتنا.

على الرغم من مشقة وعناء الرحلة، والعزلة القاسية التي يعاينها سكان المناطق التي مررنا بها، تمتعنا بجمال الطبيعة وروعة مناظرها التي رافقتنا طوال الطريق، كما أن الابتسامات التي لم تفارق وجوه الأشخاص الذين صادفناهم في الطريق كانت عاملاً إيجابياً جميلاً.

احتضنوا البساطة والتواضع بأذرع مفتوحة، وامتلكوا قلوباً تعبق بالقناعة والرضا، فنالوا الشرف بفضل سخائهم الرائع وكرمهم الجميل، وبالرغم من قسوة المناخ، ووعورة الطريق، ومحنهم التي لا تعد ولا تحصى، استطاعوا أن يكونوا أكثر جمالاً وسعادة.

وصولنا إلى القرية المنشودة، حيث تنتشر روائح العشق وتفتح أزهار الأماني، كان عبر المدخل الشمالي المزدهم بالجموع، المتوجع عليها أن تتحمل الضغط للوصول إلى موقع المهرجان المنتظر.

بعد أن ركنا السيارة في مكان بعيد، قررنا أن نستمر في المُضَيِّ سيراً على الأقدام. حالما شرعنا في التحرك، لاحظنا لافتة بيضاء تميزت بكتابة رسالتها الجريئة والواضحة بخط أحمر



عريض، تحت شعار ينبعث منه الطموح والتطلع بشكل واضح: "التراث غير المادي رافعة للتنمية المحلية"، كان الشعار نجمة متألئة في سماء هذا العرس، كان أول معلومة حول هذه النسخة من الموسم، وقد انتابنا الفرح والامتنان ونحن نزور هذه الأرض للمرة الأولى، دون أدنى شك في أننا سنعيش تجربة لا تنسى.

لم يمض وقت طويل حتى وجدنا أنفسنا في قلب ساحة فسيحة كأريج الورد، حيث يحتضن قلب الساحة ضريحاً عملاقاً، يتوشح بأوشحة خضراء تمتد بفخر من الأعلى إلى الأسفل، وفوقه ترفرف الأعلام التي ترمز لوطننا الحبيب بكبريائها وأناقته.

داخل الضريح، يجلس مجموعة من الحكماء، أقدمهم تغانها السنونو البيضاء، ورؤوسهم مزينة بعمامات بيضاء، وأجسادهم تتوشح بجلايب ملونة بأشكال مختلفة، متجاورين على كراس خشبية، يكاد يمحو الزمن آثاره عنهم، وأمامهم طاولات مغلقة بأقمشة شفافة وملونة مختلفة، تتوسطها كتب

وحزمات أوراق وعلب أقلام، تنسجم في تناغم مع روح الحضور، يلتف حولهم ثلة من الناس من كلا الجنسين.

كنا في جهل تام بأحداث الداخل، لم نكن نعلم بتفاصيلها المثيرة. ومع ذلك، يبدو لنا من المنظر الخارجي أنهم ينفذون عقود زواج، أو ربما يشاركون في طقوس سرية داخل الضريح المهيب. ومن يدري؟ فنحن غير قادرين على تفسير ذلك، فقد كنا نقف خارجًا وسط حشد من الناس من جميع الفئات العمرية، نتأمل بعيون مشرقة في وجوه الحكماء، نحاول رصد المزيد من التفاصيل، واستشراق أسرار تلك اللحظات الحيرة التي تختبئ في أعماق الضريح المجهول.

تراجعنا خطوات إلى الخلف لنتلقت بعضًا من صور الحيز المدهش، وبينما كنا نلتقط الصور، انبهرنا بوجود خيمة ضخمة مستترة خلف الساحة، حيث يتجمع جمعٌ غفير من الناس، نساء ورجال وأطفال صغار.

توهمنا في البداية أنهم ينتظرون بدء حفل زفاف جماعي. اقتربنا من الخيمة، وتوقفنا للحظة لتأمل في كل ما يحدث من حولنا، فسألني عبد الودود بطرافة:

- ما رأيك أن نحتفل بزواجنا هنا؟

قلت له والابتسامة تزين شفتي:

- يبدو أن فتيات هذه القرية جميلات للغاية ورفيعات المستوى، والأمر الجميل أنه لن يتعين علينا دفع أي تكاليف لحفل الزفاف، كل شيء هنا مجاني علي ما يبدو.

في هذا الموقف، أطلق ضحكة، ثم ألقى علي القول:

- هل تشك في ذلك؟ هنا في هذا المكان المبارك، يوجد الجمال الأصيل، الفتاة هنا لا تحتاج إلى مستحضرات تجميل، أو عدسات لاصقة ملونة لتكون جميلة، إنما كل ما تحتاجه هو الكحل والمسواك فقط، جمالها طبيعي وملهم يا صديقي، هذه فرصتك الذهبية، لا تضيعها.

- وأنت ماذا تنتظر؟ هل تفكر في إقامة عقد زواج؟

رد عبد الودود بابتسامة وقال:

- أرح قلبك من زمام الزواج الآن، فلنبحر في تجربة استكشاف المكان.

- انتظر لحظة؟ قد يبرز فجر الفرح، ويبدأ حفل  
الرفاف الجماعي قريبًا.

في لحظة انتظارنا، تغير الطقس بشكل مذهل، واختفت  
الشمس خلف ستائر السحاب، وهبت الرياح الغبار من كل  
جانب، مكوِّنة سحبًا كثيفة من الغبار تطفو في الهواء، تخادع  
النظر بأنها سحبٌ ماطرةٌ وغيومٌ عابرة.

أصابني وعبد الودود موجة من الغبار، فاشتعلت أعيننا  
بالحكة وأهكنا العطس، وقف عبد الودود على درج الساحة  
المطلّة على الضريح، مكرّرًا أنه كان يومًا مغبرًا.

سألته عن سر توقفه، فأخذه الصمت وهو يحدق بعينيه  
المشتعلتين نحو الشرق والغرب، ثم أجاب بسؤال يعكس سبب  
عدم رؤية العرسان.

- قلت له: لم تعد عيناى تبصران شيئًا غير الغبار، لقد  
صارت الرؤية للمكان مثل مشاهدة شاشة تلفاز قديمة بألوانها  
الأبيض والأسود.

ضحك أحد الأشخاص الجالسين على طرف الساحة خلال حديثنا، وأخبرنا أن حفل الزفاف الجماعي قد انتهى منذ ساعة.

تبين لنا في تلك اللحظة أننا أضعنا وقتًا ثمينًا، وفاتتنا فرصة ذهبية، في ذلك الوقت، لم يكن بؤدنا غير أن نستكشف المكان، ونتعمق في معرفة القرية بشكل أكبر.

تبدو القرية وكأنها من عالم قديم، ببناء أغلبه من طين يعكس في جماله ورونقه تاريخها العريق، فقد تجلى على جدران القرية زمن الأمطار الغزيرة والثلوج الكثيفة، التي أثرت على مبانيها، فشاخت ملامحها، إلا أنها لا تزال تحتضن روح الماضي، وتحكي قصصًا قديمة عبر أزقتها المتعرجة.

يخترق القرية طريق مزفت، يعبرها كالشريان الحيوي، وبجانبه تمتزج الروائح الشهية للمأكولات التي تقدم في المطاعم التقليدية المنتشرة على شكل خيام، والتي تعانق الأصالة بأشكالها وألوانها، مع سوق تجاري ضخم، ومعرض كبير يعرض بكل فخر منتجات الأرض والحرف التقليدية.

دخلنا السوق المليء بالسلع والبضائع المتنوعة، والأصناف المغربية، فاستقطبت نظري سماعات الأذن فائقة الجودة، فاشتريتها بثمن مناسب، ثم لاحظت زعفراناً ذا جودة عالية عند أحد التجار، وتذكرت أنني سأحتاجه لتحضير طبق طنجرة لذيذ من اللحم في المنزل، فاعتنمت فرصة للحصول على علبة صغيرة منه، أما عبد الودود، فاكتمى بشراء حبات من فاكهة النبق الحمراء، المعروفة بالسدر، وبدأ في قراءة قول الله - جل وعلا-: "فَاعْرُضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ" (سبأ/16).

بينما كنا نتجول بين أروقة السوق المكتظة بالحشود والتجارب العديدة، جمعنا قراراً بأن ننسجم مع هذا الزمان، ونحفظ كل لحظة بعيون الصور، ونستقطب بعدساتنا المشاهد المذهلة، لتبقى خالدة في ذاكرتنا، كذكرى لهذا اليوم الفريد.

هممنا بتصاعد الجوع مع وقت الغسق، فتركنا السوق متوجهين نحو خيمة يبيع أصحابها لحم الدجاج، اشترينا منهم

دجاجة متوسطة الحجم، وشرعنا في تمشيط المكان بحثًا عن مكان لشوائها.

عثرنا على شخص يحمم اللحم بنار الشواء على جنبات الطريق المزدهم، فسألناه عن سعر الشواء، فأجابنا بكلمات مليئة بالشغف الشهوي:

- ثلاثون درهماً للكيلوغرام الواحد.

لاحظت أنه زاد في الثمن بشكل مفرط، فنظرت إلى عبد الودود، وقلت له بكلمات ملتعبة يملؤها الاستياء:

- إن الجشع قد نَحَس قلوب هؤلاء التجار، فلنسع لإيجاد من يشوي الدجاج بأقل ثمن مما هو معروض.

وجدنا بعض الشبان أماننا، فسألت أحدهم عن ثمن الشواء، فأجاب بأنه عشرون درهماً للكيلوغرام الواحد.

فاوضته في الأمر، وتوصلنا إلى اتفاق بسعر خمسة عشر درهماً للكيلوغرام.

ثم قلت لعبد الودود:

- إن هؤلاء الشبان قد أحاطت قلوبهم بلطف الرضا  
وجمال القناعة.

كانوا ثلاثة شبان، ذوي بشرة سمراء، ينحدرون من  
منطقة "آيت عيسى أبراهيم" في تنغير، ويتحدثون لغة الجبال  
والشمس، يبثون السعادة والبهجة في حياتهم مذ أن وطأت  
أقدامنا خيمتهم المضياف، يأتون إلى أرض العشاق كل موسم  
لتقديم أطباق الشواء اللذيذة للزبائن، سواء كانوا زواراً  
متجولين أو مارة عابرين على تلك الطريق المبهجة.

عندما سمعت صوتهم يتردد بلسان أمازيغي، وكأنه يرقص  
على أوتار قلبي، عرفت حينها أننا قد وصلنا إلى موطن الجمال  
والعطاء، فقد استقبلونا بابتساماتهم الدافئة، وعيونهم اللامعة،  
وكانهم أمراء يستضيفون ضيوفهم الأعداء.

ساندوننا بأيديهم النقية، وشاركونا وجبة الغداء، وكرمونا  
بطبق من اللحم المشوي الذي ذاب في أفواهنا، وكؤوس من  
الشاي الأخضر العذب.



استمتعتنا بالجلوس معهم في خيمتهم البسيطة، حيث تبادلنا الحديث في مواضيع مثيرة للفكر حول موسم الخطبة.

وجه عبد الودود سؤاله حول السبب وراء تسمية هذه المنطقة بأرض العشاق أو "إسلي" (العريس) و"تسليت" (العروس)، فأجاب كبيرهم محمد بكلمات تنبض بالفن والجمال قائلاً:

- تقول الأسطورة أن "إسلي" شاب يدعى "موحا" و "تسليت" شابة تدعى "حادة"، يتحابان بشدة، فهما ينتميان إلى قبيلتين متنافستين من قبائل "آيت حديدو"، تربطهما عداوة قديمة جراء النزاعات والحروب المستمرة من أجل الأراضي الرعوية ومصادر المياه. وصل الأمر في نهاية المطاف إلى حظر الزواج بين أفراد القبيلتين، هذا الصراع الذي أربك قلوب العاشقين كالعاصفة، حتى حاول الولي الصالح "المغني"، ملهم الأحاسيس، جمع قلوبهما برباط الزواج، ولكن تلاشت جهوده الجريئة كالرمل الهارب، فما كان من الشابين إلا أن يتوسلا بدموعهما المتدفقة لتخفيف الألم الذي يعتريهما؛ بسبب الحرب التي غلبت على حبهما، حتى مالأكل منهما

بحيرة من الدموع، أغرق فيها نفسه منتحراً، ولكن هذا المشهد الأليم دفع قبائل "آيت حديدو" إلى دفن تلك العداوة مدى الدهر، بتنظيم مواسم للخطبة، احتفالاً بالعشاق، وتكفيراً عن الأخطاء الماضية.

أبهرنا بالكلام الساحر لمحمد عن حكاية أسطورة العشق التي جمعت العاشقين، إنها حكاية مثيرة ومشوقة، وصلت إلى طريق مسدود، وانتهت بموت العاشقين، تداخل فيها الواقع والحقيقة مع الخرافة والخيال، ورغم ذلك تظل قصة حب رائعة وممتعة، محفورة في التراث الأمازيغي "الحديوي".

حبهما يعانق قصص العشق الشهيرة في التراث العربي والعالمى، كلحن غزل عنتره وعبلة، وشجون قيس ولبلى، وحكاية حب براموس وثيسي، وروميو وجولييت... تاريخ يشهد لهما بالعدوثة والعمق، ينثرهما في صفحاته الخالدة.

في ظل الأفراح والسعادة التي اجتاحت قلوب الثلاثة، كنا نتمنى لو استمر المجلس لفترة أطول بصحبتهم، حتى نستمتع برفقتهم أكثر، ولكن الوقت يشدنا ويجبرنا على الاستراحة من الرحلة وأداء صلاة العصر، حتى لا يفوتنا أوانها.

وجهننا لهم الامتنان على حسن الضيافة والاستقبال، ثم عدنا إلى سيارتنا لاستدراج الهدوء قليلاً حتى تغرب الشمس، ومنتقل نحو همسة الناس في مكان قريب، أخرجنا سجادة الصلاة من السيارة، ونشرناها برقة على الأرض، ثم تممنا الوضوء بتربتها النقية والطاهرة وأقمنا الصلاة، وبعدها اتسعنا بعض الوقت في داخل السيارة للاسترخاء.

اندثرت أشعة الشمس في الأفق، وغابت خلف تلك الجبال الشاخنة، اختفت أيضاً عن أوجه العاشقين التي أحرقتها بحرارتها الشديدة، وبينما أرخى الليل سدوله، تصدح حنجرة المؤذن بالأذان الداعي لصلاة المغرب، كان غروب الشمس إيذاناً ببدء معاناة ليلة جديدة.

بعد صلاة المغرب، أردنا التوجه حيث يتجمهر الناس، منتظرين بدء الحفل الموسيقي، فحاول عبد الودود بجهد مضمّن تشغيل السيارة المهملة، نظر إليها بدهشة واستغراب، كأنه يستكشف أسرارها، وسعى بقوة على نحو متكرر دون تحقيق أدنى تقدم.

قلت له:

- ربما المشكل في البطارية، قد يكون بها عطل ما، أو  
أنها تنحو نحو الهلاك، ما يفقدها القدرة على تخزين الشحنة  
الكهربائية اللازمة لإشعال المحرك.

رد عليّ متعجباً:

- ربما! ثم سكت.

لاحظت الدهول يغلف وجه عبد الودود، فاقترحت  
عليه أن ندفع السيارة، عسى أن تشتغل إن كانت المشكلة  
حقاً في البطارية، ناشدنا مساعدة بعض الشباب الجالسين  
بجوارنا، قمنا بمحاولات عدة، ولكنها باءت بالفشل.

بدأت تتسلل إلى قلوبنا أشواق متلبدة بالقلق، فقد  
كشفت أعيننا عن عطل محتمل يتعلق بمضخة الوقود، خاصة  
وأن أعضاء السيارة تعمل بشكل جيد، لذا قررنا أن ندفع بها  
قدر المستطاع، حتى أوصلنا الدفع بها إلى جانب السوق،  
ركننا في زاوية قريبة من أحد الباعة، نصب خيمة يعرض فيها  
الوجبات الخفيفة بصحبة زوجته للزوار، بعد لحظات، بدأ

صوت المعزوفات والأغاني يتردد حولنا، كان صوت أحد المغنيين المشهورين بالأطلس يملأ المكان بالغناء، والجمهور يردد معه الأغاني بحماس وشغف، لمنا الجميع يتمتعون بإيقاعات موسيقى الأطلس، يرقصون بلا حدود، يمرحون بلا قيود، ويغنون بكل بهجة...؛ أما نحن، فحالتنا تتيح للأسف الكثير من الحزن والأسى.

كنا نترنح في برد الهواء الذي يتدفق بين تلك الجبال، صرنا وكأننا خرجنا من تحت الأنقاض، لو أشرقت شمس الصباح الندية لفرغ منا الصغير والكبير؛ بسبب سوء مظهرنا المروع، لكن الظلام ستر تلك اللحظات الرهيبة التي نمر بها.

اقترح أحد الشباب إقدامنا على شحن بطارية السيارة عن طريق الاستعانة بسيارة أخرى، لكن المشكلة أن جل أصحاب السيارات الموجودة بالقرب منا لا يملكون أسلاك شحن البطارية؛ لذا كان علينا البحث عن يبيعتها، أو يمكنه مساعدتنا.

في أثناء بحثنا، وجدنا أنفسنا قرب المنصة التي أقيم عليها الحفل الموسيقي، نظرت يميناً ورأيت بائعاً متجولاً يحمل

إبريقًا كبيرًا من القهوة بين يديه، توجهت نحوه بشوق واشترت  
كوبين ساخين، ربما يبعثان قليلاً من الدفء في أجسادنا  
المتعبة، وينعشان مزاجنا.

دفعت ثمن القهوة إلى البائع، والتفت خلفي لأجد أحد  
أصدقائي القدامى يدعى "صالح"، متربعا خلفي على كرسي  
من الإسمنت برفقة شخصين آخرين.

"صالح" كان رجلاً صالحًا، بوجه مشرق يزدهر البهجة،  
ولحية كثيفة تملأ الهواء بشذى الوفاء، مرتدياً معطفاً أسود يليق  
بكبريائه، قد تعرفت عليه في عام ألفين وسبعة عشر  
(2017م)، وهو ينشر علمه بثانوية "موسى بن نصير" في  
"بومية" قبل أن ينتقل إلى إقليم تنغير، وقتئذ كنت أدرس  
بثانوية "أغبالو التأهيلية"، بأغبالو نسرطان التابعة لإقليم  
ميدلت.

حييت صالحًا، وعانقته بحرارة ثم تبادلنا أطراف الحديث  
لبضع دقائق. بعدها، أفصحت له بالمشكلة التي واجهتنا،  
فأخبرني بتوجيه فوري بأن صديقه "عبد الله" يعمل ميكانيكيًا  
و بإمكانه مساعدتنا.

رافقنا "عبد الله" إلى المكان الذي يركن سيارته، حيث جلب أسلاك الشحن الخاصة بسيارته، ثم اتجهنا إلى سيارتنا التي تعطلت، وكخطوة أولى ربط الأقطاب الموجبة في البطارتين، ثم أوصل القطب السالب لبطارية سيارته بجزء معدني لسيارتنا، ثم أدار محرك سيارته في محاولة لتشغيل سيارتنا المعطلة، لكن عملية إدارة المحرك عن طريق هذه المساعدة باءت بالفشل.

أكد لنا "عبد الله" أن عمر البطارية قد انتهى، وأن هذه المشكلة تتطلب استبدالها ببطارية جديدة، ولكن المشكلة لم تنته فقط بالبطارية، بل قد يكون لها صلة بالمحرك أو مسألة أخرى. ومن المؤسف أيضاً أنه لا يحمل معه الأدوات والمعدات اللازمة لإصلاح السيارة، اعتذر "عبد الله" وانصرف لحاله.

تركنا عبد الله والأفكار تزدحم في عقولنا، لقد تفاقمت الأمور، وغدونا غير مدركين لما ينبغي علينا فعله، الإرهاق ينتشر في أجسادنا، والقلق يهدد بالقضاء على أي بصيص من الأمل المتبقي.

أشعل عبد الودود سيجارته قبل أن يقول:

- خطرت لي فكرة جديدة.

- ما هي الفكرة؟

- سأتصل بصديقي طارق، الذي يعمل ميكانيكيًا في ميدلت لأستفسر عن السبب وراء ذلك، ربما يفجر لنا كنزًا من الحكمة، ينير الأفق ويزيل الغموض.

كانت الفكرة تلامس حواسي، وتستنهض في داخلي الرغبة في الصراخ، لعلني أتنفس الصعداء، وأفوح برائحة السعادة.

أخذ الهاتف بخفة، وضعه على أذنه، وهو ينتظر بقلب متشوق لرد طارق، بعد لحظات قصيرة، أجابه بصوته المألوف، وبدأ عبد الودود بسرد الواقعة، سعى جاهدًا ليكون واضحًا وواقفيًا في شرح المشكلة التي تواجهنا.



وقتئذ أخبره "طارق" بأن المشكلة قد تكون في البطارية المستخدمة، أو في أحد الأجهزة المتعلقة بالوقود، ومع ذلك لم يكن متيقناً.

بالرغم من ذلك، أصر عبد الودود أن يأتي صديقه المحبوب، وأن يجلب معه بطارية جديدة، وكل ما قد يحتاجه من الأدوات لإصلاحها، بلطف وود تام، وافق طارق على طلبه، ووعدته بالقدوم فوراً لحل المشكلة.

انقضى شطر الليل والساعة تشير إلى الواحدة بعد منتصف الليل، تمتد غيوم السماء الجافة كظلال رقيقة على عيون العاشقين، وتتساقط قطرات المطر الهادئة لتغسل الغبار المتناثر في الجو، يتلاشى نغم الموسيقى والصخب المعتاد الذي يحيط بنا، وينطفئ بريق الأنوار المتألثة للخيام المنتشرة من حولنا، يسود هدوء ساحر، ويأخذ مكانه ظلامٌ حائرٌ.

لا يسمع سوى أصوات متقطعة للكلاب الضالة تعوي بجوارنا، والنوم يغشى الجميع، باستثناء الشخص الذي جاورناه تلك الليلة.

عبد الحميد، جارنا، ظهر من خيمته واقترب منا كالنسيم العليل، تفرسنا في ملامحه بنظر خفيف دون وضوح الرؤية بسبب ظلام الليل، ظهر في النافذة وتحدث إلينا، رحبنا به وأخبرناه بما حدث لنا، أفصح عن وعيه الواسع بالمصيبة المثقلة التي حلت بنا، وأنه شاهدنا قبل غروب الشمس حيث كنا نكافح لدفع السيارة، قدم لنا يد المساعدة، وحاول جاهداً تسخير ما جادت به كفاءاته وخبراته في صيانة السيارات، إلا أنه لم يتمكن من إصلاحها.

كان يحاول إسعادنا وخفض حزننا، وقال بابتسامة:

- ارقوا أنفسكم، فرمما صادفكم سوء الحظ، أو أصابكم عين حاسد؟

ضحكنا لسماع قوله، فأجبتة:

- إن العين حق، وإن أكثر من يموت من الناس سببه العين.

ابتسم وقال:

- خذوا قسطاً من الراحة، فعندما تشرق شمس الصباح، سنصلحها بإرادة الله، ثم انسحب بعدها إلى عالم النوم والهدوء .

سلام على عبد الحميد كان شخصاً دمث الأخلاق، صاحب رفق وأدب في المعاملة، رحيب الباع والذراع، ينبثق منه الأمل والبهجة بفضل وجوده الدافئ، وروحه الإيجابية، تركنا لبعض الوقت، ثم عاد ليجدنا نضحك على حالنا البئيس، لم يكن يشعر بالنعاس بسبب رغبته الملحة في التدخين، وقد نفذت علبة سجائره، دون أن ينتبه إليها، سألني إن كانت لدي لفافة تبغ، أخبرته أنني لا أتعاطى التدخين، وأن عبد الودود هو من يدخن، فور سماع عبد الودود لطلبه، أخرج علبة سجائر من جيبيه، وسلم عبد الحميد لفافة، بينما هو يستمتع بنشوة التدخين، شعر بشيء من الرضا، وانبعثت الابتسامة بفرح على وجهه.

في أثناء جلوسه معنا، تحدث لنا عن الطقوس التي تمارس بأرض العشاق في موسم الخطبة، وكأنه يتأمل تلك

العادات والتقاليد التي عاشها بنفسه في إحدى دورات الموسم الماضية.

ذكر أن حفلة الزفاف الجماعي تجري بين العشاق من شباب وفتيات المنطقة وسط فرحة عارمة ورقصات تقليدية على أنغام "أحيدوس" وأهازيج الحاضرين كلهم من مختلف البقاع، يلبس العريس اللون الأبيض، وتلتحف العروس بقماش يسمى "تحديرت"، مزينا بقطع معدنية تعرف بـ "موزون"...

أوضح أن موسم الخطبة هو فرصة للتشجيع في الإقبال على الزواج والترغيب فيه، عوضا عن كونه فرصة لبيع النساء كما يزعم البعض، وأكد أن معظم من يتزوجون بهذه الطريقة ليسوا بالضرورة لا يمتلكون الثروة الكبيرة التي تسمح لهم بتنظيم حفلات زفاف كبيرة.

موسم الخطبة يعد تجسيدًا للتقاليد والعادات القديمة لقبائل آيت حديدو، ونسخة هذه السنة هي الأولى بعد التوقف لسنتين؛ بسبب جائحة كوفيد 19، وليس هذا فحسب، بل يتوافق الموسم ومهرجان موسيقى الأعال بمركز إملشيل، ما يعزز رونق تلك المناطق وينعش اقتصاديًا.

قلت له:

- هذا يعني أن الموسم لا يقتصر فقط على ما يتعلق بإحياء التقاليد المتجذرة في تاريخ المنطقة؟

صمت قليلاً، ثم مد يده برشاقة نحو علبة السجائر، أشعل سيجارة جديدة بأنامله البراقة، وتبسم بابتسامة تنبض بالحياة وقال:

- وجودكم هنا يؤكد ذلك. موسم الخطبة يجذب الآن السياح من جميع أنحاء المغرب وخارجه، وأصبح فترة استراحة لأهالي المنطقة بعد موسم الحصاد... إنه يشهد ترويجاً كبيراً للمنتوجات المحلية، مثل السجاد اليدوي الذي يتميز بطرزه الأنيق، والرموز الأمازيغية الفريدة، بالإضافة إلى الملابس التقليدية مثل "تخديرت" و"تسبنييت" وغيرها من المنتجات التي تثبت أرض العشاق، من زروع وخضر وفواكه.

كان لعبد الحميد الفضل الكبير في تعرفنا على المنطقة من جوانب مختلفة، كان يروي لنا تفاصيل الطقوس بشغف وحماس، وكنا ننصت له باندهاش واهتمام، ونقاطعه أحياناً

بأسئلة في الموضوع ذاته، مما ساعدنا في نسيان بعض المشاكل التي واجهتنا بسبب عطل السيارة، ومع ذلك، لم ينس أن يخبرنا عن الآلام والصعاب التي يعانيها الناس في المنطقة المنعزلة خلف تلك الأعراس والاحتفالات طوال العام، خاصة في فصل الشتاء البارد، عندما تتساقط كميات كبيرة من الثلوج تجعل تلك الطرق المتهالكة غير قابلة للمرور لعدة أيام، مما يزيد معاناة أهالي تلك المنطقة، بما في ذلك الشباب وكبار السن، وخاصة النساء الحوامل اللاتي يحتجن إلى السفر مسافات طويلة إلى أحد المستشفيات في الريش أو الراشيدية للولادة، مما يضع صحتهن وصحة أجنتهن في خطر.

تبادلنا الحديث لساعتين، دون أن نشعر بمرور الوقت، وسط هدوء المكان، وهمس قطرات المطر الليلي اللطيف، بدأت أمعائي تنادي بصوت عال جراء الجوع، والنوم بدأ ينشب نقبه بين عيني، وبينما كان عبد الودود بجانبني يتنهد بعمق من التعب، محاولاً الاسترخاء قليلاً، كان عبد الحميد متعباً بدوره، ويتوق للنوم ليستيقظ باكراً، ويشد الرحال إلى

بلدته وفق ما أخبرنا، ثم استودعناه بعد أن ترك لنا رقم هاتفه للتواصل فيما بعد.

كان انتظارنا لطارق مثل انتظار قدوم العيد، نفذ رصيد هاتف عبد الودود، واقتربت بطارية هاتفي من النفاد أيضاً، لذلك، قررت أخذ هاتفي والاتصال بطارق لأسأله أين وصل؟ لم يكن يرد على اتصالي، ولربما لم يكن يعرف رقمي، بعد بضع دقائق، اتصل بي.

سألته:

- أين وصلت؟

- وصلنا "أغبالة".

- من أتى برفقتك؟

- برفقتي "زهير" وشاب آخر.

قطعت الاتصال، وأرسلت لهم إحدائيات موقع تواجدنا عبر تطبيق الواتساب، ليتمكنوا من التوجه إلى المكان الصحيح.

هرم الليل، وفتك الصبح بظلامه وعقارب الساعة تشير  
إلى السادسة صباحًا، لا تزال السماء تحتضن غيومًا ماطرة،  
تمطر غيثًا وفيرًا يروي حب العشاق على قمم الجبال في تلك  
البلاد، التي لا يزال أهلها في سبات، وبدأ نور الصباح يتسلل  
بيطء، كاشفًا عن رؤوس الخيام في السوق، كأنها قبور مهجورة،  
رن جرس الهاتف، وكان المتصل طارق، الذي أخبرني بقرب  
وصولهم إلى السوق، أخبرته أننا سنلتقي قرب المسجد في  
السوق، بعدها، قطعت الاتصال.

وصل الثلاثة أخيرًا سالمين، طارق، العامل والخبير في  
مجال كهرباء السيارات، حيث حنكته الأيام، ودربته مصاحبة  
أعطاب السيارات، وبرفقته مساعده، الفقى المهذب اللطيف  
الذي لم ييخل علينا بالمساعدة، وكان هناك صديقنا زهير،  
الصديق الطيب، أحد من أحلى الناس في الضيق والشدة،  
عشرته ألين وألطف من ريح نسيم الأطلس المتوسط، هادئ  
الطبع، حلوا الكلام والمنطق، ضحى بكثير من أجلنا، ترك  
فراش النوم، وآثر مرافقة طارق في الطريق على دفء البيت  
والعائلة.



نفذ طارق العملية نفسها التي نفذها عبد الله من قبل، لكنها لم تنجح، فوصل السيارة بجهاز تشخيص وفحص أعطال السيارات عبر الحاسوب، وكشف البرنامج عن انتهاء صلاحية البطارية، فاستبدلها بأخرى جديدة، لكن ظهرت مشكلة جديدة مع ضغط البنزين، حيث لم يصل الوقود إلى المحرك، تبين له أن العطب في منظم ضغط الوقود، فأصلح طارق الخلل بعد ربع ساعة من التشخيص والفحص، ثم دخل عبد الودود إلى مقعد القيادة، وأدار مفتاح الإشعال، فعمل المحرك واشتغلت السيارة أخيراً.

لم أتمالك بهجتي عندما سمعت صوت محرك السيارة، فأحسست بالسعادة تغمرني، رغم أن صوت محركات السيارات قد يكون مزعجاً للبعض، إلا أنه في تلك اللحظة كان له تأثيرٌ مهديٌّ علي، أطفأ فثيل القلق داخلي، وأسكت الجوع الذي كان ينغص على بطني، كما لو كان الأمر شبيهاً بصوت أم تعني لمولودها لتهدئته حين يجيش بالبكاء.

ودعنا عبد الحميد وسط السكون الذي لا يزال يحتضر  
في أروقة السوق، على أمل أن نلتقيه مجددًا في يوم مشرق،  
لنتشارك معه لحظات الفرح والابتسامات.

تركنا قرية "آيت عمر" بعد ليل داج غابت فيه النجوم،  
بعد ساعات طويلة من التعب والمحنة، غادرنا أرض العشاق  
بدون أن نشهد مراسيم الزفاف الجماعي التي كنا نرغب في  
حضورها، لم يكن القدر يرغب في ذلك، والحمد لله اللطيف  
العالم بدقائق الأمور وغموضها.

ارتسمت الآمال في قلوبنا ونحن نستقل سيارتنا في طريق  
العودة إلى مدينة ميدلت، ونحن ننظر إلى المستقبل بتفاؤل،  
متطلعين إلى العودة مرة أخرى في العام المقبل لنحتفل بموسم  
الخطبة، ونعيش لحظات السعادة والحب.

ملتقى الأعلام المبدعة

الملتقى  
الأعلام  
المبدعة

دار بسمة  
للنشر الإلكتروني



هذا العمل الإبداعي برعاية دار بسمة للنشر الإلكتروني  
بشراكة مع جرّوب ملتقى الأعلام المبدعة...



للاطلاع على الصفحة الرسمية لدار بسمة للنشر  
الإلكتروني على الفيسبوك، اضغط على الأيقونة.



للاطلاع على جرّوب ملتقى الأعلام المبدعة على  
الفيسبوك، اضغط على الأيقونة.



## دار بسمة للنشر الإلكتروني

دار مغربية، رقمية، تأسست في 2017

دار بسمة للنشر الإلكتروني من أهدافها مساعدة الشباب المغربية والعرب على نشر إبداعاتهم، وإيصال أصواتهم وتغريداتهم إلى العالم كله، كما تطمح لاكتساح عالم النشر الإلكتروني في كل الأقطار العربية..

كما أننا - في محاولة منا لتغذية شريان الثقافة - نسترشد بالضمير الحي من أجل نشر المحتوى الثمين، حاملين على كواهلنا رسالة التنوير الحقيقي، ومدركين كل الإدراك لقيمة القلم النبيلة، لذلك كنا حريصين على نشر كل ما هو قيم. في دار بسمة للنشر الإلكتروني نساند المؤلفين وندعمهم لإيصال إبداعاتهم لملايين من القراء، ونرشدهم إلى آليات فنية تعينهم على تحسين أساليب الكتابة والإبداع. وتقريباً لهذه الغاية تقوم الدار بتنظيم مسابقات متعددة، والإشراف عليها مجاناً من أجل اكتشاف المواهب الشابة التي تستحق أن تُنشر أعمالها بين القراء والمتقنين، وذلك تشجيعاً لهم على الاستمرارية في الكتابة الإبداع.



# عمر اسريير

أديب وكاتب مغربي



٠٩٠٤٨ ٠ ٤.٨.١١ +٤٤٠٠٠٠

يتجلى هذا الكتاب كتحففة فنية ضمن أدب الرحلات، يروي قصة سفر استثنائية إلى أرض العشاق، بين جبال الأطلس الشرقية في المغرب، حيث يتلأأ موسم الخطبة وتتجلى أسطورة العشق الأبدية بين "اسلي" و"تسليت". تعد هذه الرحلة استكشافاً عميقاً لتفاصيل المنطقة، وتفتح نوافذ الفهم للعادات والتقاليد الجذورية المتجذرة في تاريخ قبائل أيت حديدو.

تتنوع لحظات الرحلة بين العواطف الغامرة التي تنبض بالحياة وتأسر الأنفاس، وبين الأحداث المثيرة والمشوقة التي تحمل في طياتها لحظات التشويق. وعلى الرغم من عدم شهود مراسم الزفاف الجماعي التي كانت الغاية من الزيارة، إلا أن القصة تظل محفورة في ذاكرة الأرواح كأجمل الذكريات، ترسم صورة ساحرة للحب والتواصل بين البشر والطبيعة في أجواء لا تنسى

التي  
التي  
التي



bassmabook     
00212771814934    
bassmabook@gmail.com